سلسلة أصل الحكاية

العدد ١

أولاً : حكاية جحا

ثانياً : حكاية الأقزام

نوال مهنى

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــاب :سلسلة أصل الحكاية
المـــؤلـــف : أ. نوال مهنى
تاريخ النشر : ١٩٩٩م

الناشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب
شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
ت ف : ٢٤٧٤٠٣٨ ، ت : ٢٤٦٢٥٦٢
التوزيــــــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)
المركز الرئيســـى : مدينة العاشر من رمضان
المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧ ص.ب : ١٢٢ (الفجالة)
رقـــم الإيــــداع : ٩٩/٢٣٧٩
الترقيـــم الدولـــى : ISBN
977-303-086-5



❁ أولاً : حكاية جحا

بطل هذه القصة هو شخص شهير جـــداً ويعتبر من أشهر الشخصيات الفكاهية وهـــو جحا، واسمه الحقيقى نصر الدين خوجه، هو من قرية صغيرة قرب تركيا ويعتبر جحـا مثالاً لخفة الدم فهو ضاحك دائمـــاً وســاخر دائماً فى الجد والهزل حتى أصبحت ســيرته مضرب الأمثال ومثاراً للضحك والفكاهة فهو الضاحك المضحك.

وشخصية جحا من الشخصيات الغريبـــة لأنها تجمع كل المتناقضـــات مثـــل الكـــرم والبخل والحكمة والحمق والذكاء والغبـــاء،

ولكثرة ما روى عن جحـا مـن المواقـف والأخبار الضاحكة أصبحت شخصية جحـا بمرور الوقت شخصية أسطورية لأن النـاس أضافوا إلى شخصية جحا أشياء غير واقعية ونسبوا إليه أشياء لم تحدث ولكنها من تأليف الآخرين. ويعتبر جحا عينة من البشر نادرة جداً فهو أحياناً فيلسـوف وحكيـم زمانـه، وأحيانا أحمق أبله وأحيانا نصـاب مـاكر، وأحيانا بسيط ساذج.

ولكن الشئ المتفق عليه فى كل الأحـوال أن جحا إنسان ساخر ضاحك ظريف طريف.

وقد اشتهر جحا بإضحاك النـــاس فـــى حياته وأيضاً إضحاكهم بعد مماته ومـــن فكاهاته الغريبة أنه بنى لنفسه مقـــبرة قبـــل وفاته بطريقة مضحكة فعلا فهى عبارة عـن ساحة واسعة ويحيط بـــها أربعـــة حوائـــط منفصلة عن بعضها، وأمامها بـــاب مغلـــق بقفل كبير ويقف الباب منفرداً مغلقاً بعيـــداً عن الحوائط، وفى وسط الساحة يوجد القـبر والناس يدخلون ويخرجون دون الحاجة إلـــى الباب وأهل البلدة من عادتهم زيارة ضريـــح جحا والإكثار من الضحـــك وخاصـــة فـــى

مناسبات الأفراح والأعياد، وقبل أن ينصرفوا يوجهون الدعوة إلى روح جحا لكى تحضر معهم وبذلك تكون حياتهم ضاحكة وسعيدة ويعتقدون أن من لا يفعل ذلك سوف تحدث له أشياء سيئة وتكون حياته حزينة.

وتوجد بعض الأمثلة المرتبطة باسم جحا ولا نزال نرددها فى المناسبات المختلفة مثل (جحا أولى بلحم توره) ومعناها أن كل إنسان أحق بحاجته، ومثل (عد غنمك يا جحا قال واحدة قايمة ووحدة نايمة) ويشير



هذا المثال إلى الأشياء المحدودة الواضحـــة والتى لا تدعو إلى النسيان والخطأ فى الحساب.

واشتهر جحا بحماره ومن أشهر النـوادر عن جحا وحماره تلك النادرة.

أراد جحا الذهاب إلى السوق واصطحب ابنه معه فركب الحمار وركب ابنه وراءه ثم مضوا إلى السوق وفى الطريق شاهد النـاس جحا وابنه فوق الحمار فأكثروا من لومـهما، اتهموهما بقسوة القلب فكيف بـهذا الحمـار الضعيف المسكين أن يتحمل ثقل شـخصين يركبان فوقه؟!

ولما سمع جحا حديث الناس نزل مـــن فوق ظهر الحمار وسار بجانبه تاركـــاً ابنـــه الصغير راكباً فوق الحمار.

فسمع الناس يعيبون على هــذا الصبــى الذى يخالف قواعد الأدب فيركب هو ويترك أباه المسن يمشى.

ولما سمع الصبى حديث الناس نزل مـن فوق الحمار ودعا أباه للركوب فركب، وبعد قليل سمع جحا حديث الناس يلومون عليـــه ويصفونه بالقسوة فكيف يركب ويترك ابنه الصغير يسير على قدميه بدون رحمـــة ولا

شفقة، واحتار جحا ماذا يفعل كى يرضى جميع الناس فما كان منه إلا أن توقف عن السير ودعا ابنه ليساعده فى حمل الحمار على كتفيهما وسارا به فإذا بالناس ينفجرون من الضحك ويتهمونهما بالجنون والغباء.

ومغزى هذه القصة أن الإنسان لا يستطيع إرضاء جميع الناس مهما فعل، ولذلك عليه أن يفعل ما يراه حقاً وصواباً وأن يسترشد بتعاليم الدين والقانون وحتى إن غضب منه بعض الناس. ويبدو أن جحا أراد أن يثبت بطريقة عملية أن التصرف



الواحد مستحيل أن يرضى الجميع نظراً لاختلاف الميول والأذواق وتعدد مستويات الذكاء والثقافة. ونستنتج من ذلك أن الشئ الذى يرضى البعض قد يغضب البعض الآخر.

وتدل هذه القصة على أن جحا كان إنساناً حكيماً على الطريقة الشعبية وكان ناقداً اجتماعياً بطريقة بسيطة وفطرية يعنى كانت له فلسفته فى الحياة.

ومن الأشياء الظريفة المشهورة حكاية مسمار جحا ويحكى أن جحا باع بيته وقبض ثمنه وكان بالدار مسمار مدقوقاً فى حائط

البيت فاشترط جحا على المشـــترى أن هــذا المسمار لا يدخل ضمن ثمن الدار وأن مـــن حقه أن يحضر إلى الدار ويطمئـــن عليــه فوافق المشترى.

وبعد يومين جاء جحا إلى البيت وطـرق الباب ففتح له صاحب الدار الجديد وســـأله ماذا تريد؟

فقال جحــــا: أريــد الاطمئنـــان علـــى المسمار، ودخل الدار وجلس أسفل المســمار وعندما حان موعد الغداء دعــــاه صـــاحب البيت إلى الطعام فأكل معه.



واستمر جحا يفعل ذلك بين حين وآخر فيأتى بحجة رؤية المسمار ثم يجلس فى الدار وينام ويأكل وكأنه شريك فيها، وأصبح مسمار جحا مثلاً يضربه الناس للشخص الذى يفعل شيئا وهو فى الحقيقة حجة لغرض آخر.

ومن النوادر الظريفة التى تروى عن جحا أنه كان واقفا ذات مرة فوق سطح منزله وسمع شخصا ينادى عليه فقال له ماذا تريد؟ فقال الشخص انزل حتى أخبرك.

ونزل جحا من فوق السطح وفتح البـــاب فقال له الشخص أنا شحات فقير وأريد حسـنة فنظر له جحا بغيظ قائلاً: اصعــد خلفــي، وصعد جحا السلم والرجل مــن خلفــه حتــى وصلا إلى سطح المنزل، ثم التفت إلى الرجــل قائلاً له: "يحنن عليك يا عــم" فثــار الرجــل الشحات قائلاً: ولماذا لم تقل لــي هــذا وأنــا تحت؟! فقال جحا وأنت لمــاذا لــم تخــبرني بحاجتك وأنــا فــوق - فضحــك الشــحات وانصرف وهذا يدل على خفــة دمــه وميلــه إلى الدعابة.

ويحكى أن أصحاب جحا سألوه يومـاً إن كان يفهم فى الطب فقال: نعم أفــهم جيـداً فطلبوا منه نصيحة مفيدة تعين الإنسان فــى الحفاظ على صحته.

فقال لهم "على الإنسان أن يدفئ جســمه ويعرض رأسه للشمس والهواء، وأن يــأكل بدون إسراف، ويبعد عن الهموم والأحــزان" ولو أننا دققنا النظر فى نصائح جحا لوجدنا فيها حكمة صحيحة ومفيدة ربما نصحنا بها الأطباء.

وخلاصة القـــول إن شــخصية جحــا موجودة فى الحياة وهى ترمز لتناقض الحياة

ومشكلاتها وكيفية التغلـــب عليـــها بالنكتـــة والفكاهة ــ وترمز أيضاً للنقد الاجتمـــاعى الغير مباشر والسخرية من مفارقات الحيـــاة وتوجيه الناس بطريقة مرحة.

إلى اللقاء مع حكاية جديدة ومعلومة مفيدة

☆☆☆



❁ ثانياً : حكاية الأقزام

القزم إنسان صغير الحجم يتراوح طولــه بين ٣٥، ١٠٠سم وبذلك يكون أقصى طــول للقزم هو متر وأقل طول ثلث متر، وذلـــك بالنسبة للقزم الكبير البالغ. ومجتمع الأقــزام غريب جداً وحياتهم أكثر غرابة، ويعيشــون فى قبائل وتجمعات بالقرب من الغابات وهم صيادون مهرة لأنـــهم شــجعان وخفــاف الحركة، وحياة الأقزام غير مســتقرة فــى مكان واحد فهم لا يعرفون الزراعة أو بنــاء المساكن الدائمة لأنهم دائماً فى تجول مـــن أجل الصيد داخل الغابة.

وحياة الأقزام فطرية بسيطة، فإذا شــعروا بوجود غريب فى الغابة يتبادلون إشـــارات

معينة أو يطلق الواحد منهم صيحات غريبة، وفى لحظات تختفى القبيلة كلها ولا يمكن الاستدلال عليها أبداً.

وبالطبع هذه الصيحات هى لغة تفاهم معروفة بينهم. والأقزام عادة يقضون أغلب وقتهم فوق الأشجار ويتحركون فى خفة متناهية ومهارة غريبة مثل النسانيس.

ويمشون فى وسط الغابة فى حذر شديد على طريق ملتو معبد بين الأعشاب والنباتات وعادة يكون الطريق ضيقاً جداً بحيث لا يكفى سوى شخص واحد صغير وبالتالى فهو طريق خاص بالقزم.

والأقزام معرضون للخطر دائماً فحياتـــهم داخل الغابة تجعلـــــهم فريســـة للحيوانـــات المفترسة والحشرات السامة.

ورغم قلة الغذاء فى بعض المواسم إلا أن الأقزام سعداء بحياة الحرية ودائما مبتسمون ولا يشغلهم سوى جمع الطعام.

وقد حاول فريق من علمـــــاء الاجتمـــاع زيارة الأقزام ومشاهدة حياتهم عـــن قـــرب لعمل دراسات وأبحاث ولكنهم فشـــلوا فـــى التقرب منـــهم والحديـــث معـــهم، فـــاكتفوا بمراقبتهم عن بعد ووصف حياتهم ومنازلـــهم بعد مشاهدة دقيقة.

ومنازل الأقزام مبنية من جذوع وأغصان الأشجار ومغطـــاة بـــالأوراق والأعشـــاب ومفروشـــة كذلـــك بـــالأوراق والأعشـــاب وارتفاع المساكن أقل من تســـعين ٩٠ســـم وهى مظللة بحكم الأشجار المحيطة بها.

وكل قبيلة أو عائلة مـــن الأقـــزام تبنـــى مساكنها متجاورة وكأنها مستعمرة أرضيـــة وتبدو مساكن الأقزام من بعيد وكأنها أكـــواخ لأطفال صغار، وبالطبع هـــى خاليـــة مـــن الأثاث والمفروشات ولا يوجد بـــها ســـوى أدواتهم التى يستعملونها فى الصيد.

أما طريقة الأكل عند الأقزام فهى غريبـــة أيضاً فهم لا يعرفون الطبخ وليـــس لديـــهم

أدوات مطبخ ولكنهم يجمعون طعامهم مـــن الغابة ويأكلونه طازجاً، وعادة ما يكون مـن الفاكهة أو الخضر أو أى ثمار يجدونها، وهم محبون جداً للأكل ويأكلون بكميات كبـــيرة وبشراهة شديدة نتيجة لكثرة حركاتهم فـــى الغابة، وأحياناً نجد بعض القبـــائل يحبـون الطعام المشوى. فيشعلون النـــار بطريقـة بدائية جداً عن طريق ضرب قطعتين مـــن الصخر أو الحجر الصلب ببعضهما فتتولـــد شرارة نارية تشتعل مع العشب الموجود فى المكان المعد للشـــواء، فيقومـــون بشـــواء أصابع الموز وهو من أفضل الأكلات عنـــد

الأقزام، وليس غريباً أن نجد القـــزم الواحـــد يتناول في وجبة واحدة سباطة كاملة من الموز.

وأحياناً يقومون بصيد بعض الحيوانـــات البرية الموجودة فى الغابة مثـــل الأرانـــب أوالغزلان الصغيرة.

وبالمناسبة فالأقزام لديهم مهارة فائقة فـــى الصيد ويصنعون أدوات الصيد من البـــوص والغاب والحبال، وأدواتهم هذه هى القـــوس والرمح والنبلة والشبكة ويستخدمون الحبـــال المصنوعة من الألياف الموجودة فى بعـــض الأشـــجار فـــى صناعـــة الشـــباك، كذلـــك يستخدمون الحصى الصغير الموجودة فـــى التربة لاستخدامه فى الرمى بالنبلة.

أما عادات الأقزام فى شي الطعام وخاصة الحيوانات بعد صيدها فهى غريبة أيضا، وأحيانا يستغلون مهاراتهم فى الصيد فى الإيقاع ببعض الحيوانات الكبيرة مثل الفيل والجاموس البرى، وقد استطاع بعض الباحثين مشاهدة حفل الشواء ووصفه كأنه فرح حيث يقوم الأقزام بإشعال النار ووضع الحيوان فوقها ودعوة أفراد القبيلة ، ويلتفون جميعا حول النار فى حلقات ويستمرون فى الرقص والغناء والمرح حتى يتم نضج اللحم فيأكلونه وهم فى غاية الفرح والسعادة ثم يدخلون أكواخهم للراحة.

ونساء الأقزام يصنعـــون نـــوع الغــذاء البدائى الشبيه بالخبز، وهـــو عبـــارة عـــن حبوب جافة تجمع من الغابة وتقوم النســـاء بطحنها ودقها بالحجر ثم تعجن بالماء وتقطع قطعا صغيرة وتلقى فى النار حتى تنضــــج وهى نفس طريقة الشواء المعروفة لديهم.

وقد لاحظ بعـــض البـــاحثين أن أقـــزام الكونغو يمتـــازون برؤوســـهم البيضاويـــة الطويلة، وتبين أن سبب استطالة رؤوســـهم يرجع لبعض العادات الموجودة هناك.

فمثلاً من عاداتهم عندما يولد الطفل تقـــوم الأم أولاً بربط دماغه بالأليـــاف والضغــط عليها برفق حتى تلم رأسه وتحكم دماغـــه،

وبالتالى ينشأ نَبِيهًا ذكياً حسب اعتقادهم وبعد فترة يبدأ رأس الطفل فى النمو والاستطالة لفوق، ويصبح شكله بيضاويًّا، ويعتقد الباحثون أن قصر قامة القزم ربما كان السبب الحقيقى، لأن استطالة الرأس نتيجة للرباط يكسبهم شيئاً من الطول.

ونساء الأقزام مشهورات بالطاعة الشديدة للأزواج ورعاية الأطفال وأهم ما يميز القزمة تسريحة شعرها فهى تسرح شعرها وتقسمه إلى خصلات صغيرة، ثم تقوم بتضفيرها إلى جدائل كثيرة جداً.

والبنات القزمات يحببن الألوان الزاهيـــة ويجمعن الأصداف ويثقبنها ويصنعن منـــها عقوداً جميلة يلبسنها.

وملابس الأقزام عادة مصنوعة مـــن جلـــد الحيوانات أو شعرها، وتقوم النساء بصبـــغ وغزل الشعر وصناعة الملابس منه.

وكل ذلك بأسلوب بدائى بسيط وعمومـــاً، كل احتياجات الأقزام موجودة فى البيئة فـهم لا يعرفون البيع والشراء ومطالبهم بســـيطة جداً ومتاحة من الطبيعة.

والأقزام بصفة عامة مشهورون بخفة الدم ويتندرون على أنفســـهم ويســـمون أنفســـهم

بالناس الصغار، وينظرون للناس العـــاديين طوال القامة على أنهم الناس الحقيقيين.

وعدد الأقزام يتناقص دائما لأن الإنســـان فى صراع مع الطبيعة، وإزالــــة الغابـــات واستغلال أماكنها فى الزراعـــة واســـتخدام الأخشاب فى الصناعة.

وهذا يؤثر على حيـــاة جميـــع الكائنـــات الموجودة فى الغابات بمـــــا فيـــها الأقـــزام أوالناس الصغار.

إلى اللقاء مع حكاية جديدة ومعلومة مفيدة

☆☆☆